اثر الأحاديث المختلقة في التفسير

م . د. زين العابدين عبد علي طاهر

كليّة التربية الأساسيّة / جامعة ميسان

مقدمة:

القرآن الكريم هو النص الأساس والمرجع الأول الذي يصل من خلاله الإنسان المؤمن ويطمئن إليه في فهم حياته، من خلاله ما تضمنته آياته المباركة كل ما يرومه الفرد المسلم من اثر خالد، ومن أدب ديني، وإذا كانت لنا في التعرف بالإسلام حاجة فلا بد من العود إلى القرآن والإطلاع على مضامينه اللامتناهية من تشريعات خلقية واجتماعية، وحقائق دينية، ولذا دأب العلماء على فهم النص القرآني وتفسير معانيه بما لا يخرج السياق عن مضمونه الذي جاء من اجله، ولغرض الحفاظ على وحدة النص عمل المفسرون على تنقية التفسير مما يشوبه ، ومع كل ذلك نجد أن بعض المفسرين اعتمد في على ما وضع من المرويات البعيدة عن واقع النص القرآني بغرض الدس فيه.

لذا جاء هذا البحث ليكشف الواقع الحقيقي لبعض التفاسير الإسلامية ومدى تأثرها بالروايات الموضوعة ، من إسرائيلية او نصرانية وغيرها، فجاء البحث بعد مقدمة ، وتمهيد تناول التعريف بالوضع من جهة المعنى اللغوي والاصطلاحي ، ووقع البحث في ثلاث مباحث ، تناول المبحث الأول تأريخ الوضع، وتناول المبحث الثاني ، الوضع في التفسير ، وتناول المبحث الثالث : نماذج من الوضع في التفسير. ثم خلص البحث الى الخاتمة ونتائج البحث ومصادره.

تمهيد:

الوضع في اللغة والإصطلاح:

أولاً: الوضع لغة: جاء تحت معان عدة منها.

الإسقاط والحط: يقال وضع عنه الدين، يضعه وضعاً، أي أسقطه عنه.

الترك: تقول، وضع فلان شيئاً أي تركه، والمواضعة متاركة للبيع.

الإثبات: وضع الشئ في مكان: اثبته فيه.

الإختلاق : تقول وضع الشئ وضعاً: إختلقه ، ووضع الكلام إفتراه وإختلقه .[١]

ولذا يرى الصنعاني ، أن المعنى الأخير هو الموافق للمعنى الإصطلاحي للوضع، لأن الحديث الموضوع في اصطلاحهم هو الكلام الذي اختلقه واحد من الناس ونسبه الى رسول الله (ص)[٢]

الوضع اصطلاحاً:

الموضوع من الحديث هو المختلق المصنوع،[٣]وقد يعبر عنه بأنه المكذوب المصنوع، بمعنى أن واضعه اختلقه، لا مطلق حديث الكذوب ، فإن الكذوب قد يصدق ، والموضوع هنا من الوضع بمعنى الجعل . [٤]

ويراه ابن الجوزي بقوله:(ما احسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول، او يناقض الأصول فاعلم انه موضوع)[٥].

ويقول أبو ريه:(أنه الحديث المختلق المصنوع كذباً، والمنسوب إلى رسول الله (ص)، زوراً وبهتاناً، سواء كان ذلك عمداً أم خطأ)[٦]

[١] -إبن منظور، لسان العرب ، مادة وضع
[٢] -توضيح الأفكار/٦٨
[٣] -إبن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح/٢١٣
[٤] -زين الدين العاملي ، الشهيد الثاني، الرعاية في علم الديارة/١٥٢
[٥] -تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي /١٠٨
[٦] -محمود أبو ريه ، أضواء على السنة المحمدية / ٨٠

المبحث الأول:

المسار التاريخي للوضع:

أولاً: بداية الوضع:

اختلف الباحثون في تحديد السقف الزمني لبداية الوضع في الحديث، فذهب بعض منهم إلى أن الحديث الموضوع وقع في زمن رسول الله (ص)، كأحمد أمين وغيره، لقوله(ص)،((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)).[٧]

ودلالة الحديث واضحة في إظهار الكذب على رسول الله (ص)، واختلاق الأحاديث في عصره (ص).

وذهب آخرون القول بعدم حصول الوضع في الحديث في زمن النبي (ص)، واستدلوا على ذلك، لأن صحابة رسول الله (ص)، كلهم عدول وثقات، ولا يمكن ان يكذبوا على رسول الله (ص)، بل لا يفكروا في ذلك بحال من الأحوال..... وكذلك لم يحصل الوضع في أحاديث الرسول (ص)، زمن أبي بكر وعمر، انما الوضع بدأ في عهد عثمان، بسبب سياسته التي جعلت اهل الأهواء والبدع ينشطون فيما يرومون).[٨]

أما صبحي صالح فإنه يباعد الحقيقة عن مجراها إذ يرى: أن (الوضع قد بدا ظهوره في سنة إحدى وأربعين بعد الهجرة على عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، حين تنازع المسلمون شيعاً أحزاباً، وانقسموا سياساً إلى جمهور وخوارج وشيعة....)[٩]

ويبدو أن صبحي الصالح تغافل عن الكم الهائل من الأحاديث المتواترة عن رسول الله(ص)، على كثرة من كذب على رسول الله (ص)، ووضع الأحاديث الموضوعة على لسانه (ص) .

ويعضد ما نذهب اليه من وقوع الوضع زمن النبي الأكرم (ص) ، النص الصريح الوارد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، الدال على وقوع الكذب زمن الرسول (ص)، إذ سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر ، فأجاب ببيان عظيم وصف فيه حال الرواة وأصنافهم، وأفاد فيه أن الصحبة لا تمنع من النفاق والكذب على رسول الله (ص)، قال (ع): (ان في ايدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكاذباً وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، ولقد كذب على رسول الله (ص)، حتى قام خطيباً فقال: ((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[١٠]ومما يؤيد كذلك أن الوضع حدث في حياة رسول

[٧] -الشيخ الكليني ، الكافي/١:٦٢
[٨]- السباعي، السنة ومكانتها في التشريع إسلامي/٢١٥
[٩]-علوم الحديث ومصطلحاته /٢٦٦
[١٠] -الشيخ الصدوق،الخصال/٢٥٦

الله (ص)، ما أخرجه الطحاوي عن بريد قال: جاء رجل الى قوم من جانب المدينة ، فقال: إن رسول الله (ص) ، قد امرني ان احكم برأيي فيكم في كذا وكذا– وكان قد خطب إمرأة منهم في الجاهلية فأبوا ان يزوجوه ، فبعث القوم الى النبي(ص)،يسألونه فقال: ((كذب عدو الله))، ثم ارسل رجلاً فقال: ((إن أنت وجدته حياً فأضرب عنقه، وإن وجدته ميتاً فأحرقه،)) فوجدوه قد لدغ فمات ، فعند ذلك قال النبي (ص) ،((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)).[١١]

وقد علق الدكتور صباح الدين الأدلبي على ما أخرجه الطحاوي، لأن ليس فيه ما يشكك في صدق الصحابة، ولا ما يطعن في عدالتهم، إذ كان معهم منافقون وهم الذين تصدر منهم إعمال النفاق، فلا يبعد أن احدهم كذب على لسان رسول الله (ص).[١٢]

ثانياً: التوثيق الرسمي للأحاديث الموضوعية

إن تحديد بداية الوضع بالفتنة التي حدثت بعد مقتل عثمان بن عفان ليس صحيحاً، بل المستفاد من المصادر أن الوضع للحديث صدر قبل الحدث، لكنه كثر واتخذ طابعاً رسمياً في عهد معاوية بن ابي سفيان، إذ بدأ بحذف الأحاديث الخاصة بإمامة وخلافة علب بن أبي طالب(ع)، وتعدى ذلك الى فضائله ومختصاته التي خصه بها رسول الله (ص).

قال ابن أبي الحديد المعتزلي:(روى أبو الحسن علي بن محمد ابن ابي سيف المدائيني كتاب الأحداث، قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى اعماله بعد عام الجماعة (سنة ٤٠ هـ)، أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته).[١٣]

والذي سعى له معاوية بن ابي سفيان من اختلاق الحديث، كان الغرض منه قلب الحقائق ضمن تخطيط وبرمجة هادفة، إذ اتخذ هدفه هذا اتجاهين:

الإتجاه الأول: وضع روايات كان الغرض منها ثلب الإمام علي (ع)، والطعن فيه.

قال ابن أبي الحديد: (وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي : أن معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة فب علي (ع)، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً،

[١١] -مشكل الآثار، :١٦٥-١٦٤
[١٢] - ظ:منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي/٤٦
[١٣] - شرح نهج البلاغة ١١:٤٤

يرغب في مثله، فاختلفوا ما أرضاه منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عمرو بن الزبير).[١٤]

وروي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن ابي طالب(ع): {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}[١٥]. وان الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي، قوله تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)[١٦]. فلم يقبل فبذل له اربعمئة الف درهم، فقبل وروي ذلك.[١٧]

ومما وضعه أبو هريرة من الإنقاص والنيل من الامام علي (ع)، استجابة لرغبات وأوامر معاوية بن أبي سفيان، ما رواه الأعمش، قال: (لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء الى مسجد الكوفة، فلما كثر من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق اتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أن لكل نبي حرما، وان حرمي المدينة، ما بين عير الى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، وأشهد أن علي أحدث فيها أحداثاً، فلما بلغ معاوية قوله، أجازه وأكرمه وولاه أمارة المدينة)[١٨]

الإتجاه الثاني: وضع أحاديث تنسب مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) إلى بعض الصحابة، ووضع أحاديث أخرى مكذوبة على لسان رسول الله(ص)، تنسب الفضائل الى البعض منهم كمعاوية وغيره منها:

كتب معاوية إلى جميع عماله في جميع الأمصار: أن لا تجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وانظروا قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه ومحبي أهل بيته وأهل ولايته، والذين يروون فضله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا بمن يروي من مناقبه واسم أبيه وقبيلته. ففعلوا، حتى كثرت الرواية في عثمان، وافتعلوها لما كان يبعث إليهم من الصلات والخلع والقطائع من العرب والموالي، وكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في الأموال والدنيا، فليس أحد يجئ من مصر من الأمصار فيروي في عثمان منقبة أو فضيلة إلا كتب اسمه وأجيز، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

---

[١٤] -شرح نهج البلاغة ٤:٦٣
[١٥] -البقرة-٢٠٤-٢٠٥
[١٦] -البقرة/٢٠٧
[١٧] -ابن ابي الحديد، شرح المنهج ٤:٧٣
[١٨] - محمد طاهر القمي الشيرازي، كتاب الأربعين/ ٢٩٦

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، فادعوا الناس إلى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه، فإن ذلك أحب إلينا، وأقر لأعيننا، وأدحض لحجة أهل البيت وأشد عليهم. فقرأ كل أمير وقاض كتابه على الناس، فأخذ الرواة في فضائل معاوية على المنبر في كل كورة وكل مسجد زورا.[١٩]

ثالثاً: دوافع وأسباب الوضع:

هناك دوافع وأسباب عديدة لوضع الحديث ضبطها المتخصصون بدراسة الحديث والتاريخ منها.

أولا: السبب السياسي:

يرى الدكتور حسن الحكيم: ان السياسة (لعبت دوراً كبيراً في عملية الوضع والإختلاق في الحديث الشريف وافساد مضامينه قد جند جمع من المحدثين أنفسهم لكتابة الأحاديث الموضوعة ورواتها تزلفاً للسلطة والحصول على بعض المكاسب المادية....)[٢٠]

يقول ابن الجوزي: عن أول من بدا بهذا النوع من الوضع معاوية بن ابي سفيان وسار على نهجه الأمويين من بعده، والذين جندوا الكثير من علماء السوء ووعاظ السلاطين، فما رووا في ذلك عن ابي هريرة مرفوعاً على رسول الله(ص)((الأمناء عند الله ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية))[٢١]

ثانياً: السبب العقائدي

لقد أحس أئمة أهل البيت(ع) بوجود جماعة من اصحابهم غلاة في معتقداتهم، وجماعة أخرى تضع الحديث في فضائلهم ومناقبهم، وهم من كلا الحالتين براء، وإزاء هذا الموقف المعادي للإسلام ولفضيلة الأئمة (ع) وقف الأئمة تجاه هذه العقائد الغريبة موقفاً مضاداً عنيفاً في سبيل تعريف القائلين بذلك، وكشف اباطيلهم واشعار بالحقيقة الناصعة لآل البيت(ع).[٢٢]

أن هذا النوع من الوضع كان من فعل الأمويين لتشويه صورة أئمة أهل البيت(ع) لدى الناس، وهذا ما أكد عليه نص الإمام الباقر(ع) إذ قال: (م نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء في كل بلدة فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا

[١٩] - ظ: جعفر البياتي، الأخلاق الحسينية/ ١٢٩
[٢٠] - ظ: مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، / ٢٦٨
[٢١] - ظ: الموضوعات/ ١٧
[٢٢] - - ظ: د. حسن الحكيم ، مصدر سابق/ ٢٧١

إلى الناس وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة ، من ذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو دهمت داره)[٢٣]

وهناك أسباب أخرى كثيرة، كالسبب التعبدي، والفكري، والسبب الأقليمي.

المبحث الثاني:

الوضع في التفسير:

تمهيد:

القرآن الكريم ذلك الكتاب الذي لا شك ولا ريب فيه، ولا خلاف بين المسلمين حول صدوره من العلي الأعلى، كتاب هداية وعلم واعجاز ومعرفة، تعهد الباري تعالى بحفظه من الدس والتلاعب والتحريف والتغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢٤]،ولذا فان القرآن ابعد مما تناله ايدي العابثين والوضاعين، ولكنهم وجدوا ضالتهم في التفسير، لان التفسير حمالاً لأوجه، فدخلوا من هذه الخانة.

حالات الوضع:

حالات الوضع في التوحيد:

ذهب قسم من المسلمين وهم المعطلة، الى استحالة معرفة الله تعالى على العقول، ولذا فسروا بعض من الآيات المباركات على ظاهر اللفظ مما اوقعهم في إشكاليات التفسير المنحرف.

أولا: الإستواء على العرش:

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٢٥]

يروى ان مالك بن انس عندما سُئل عن هذا الإستواء أجاب (الاستواء غير مجهول

والكيف غير معقول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[٢٦]

---

[٢٣] - السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ١٠/ ٢٦

[٢٤] - الحجر / ٩

[٢٥] - طه/ ٥

وذهب البعض الى تشبه الله تعالى بالإنسان وانه مخلوق على صورته كما يروى عن ابي هريرة، عن النبي(ص) أنه قال: خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه رحمة الله.[٢٧]

ثانياً: النزول من السماء

روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي(ص) انه قال: (ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا، حيث يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني فاستجيب له)[٢٨]

وهنا يحمل السلفية هذا اتلنزول على النزول الحقيقي الذي يعني الحركة والإنتقال الذي هو من خواص الأجسام، قال ابن حامد(غنه نزول انتقال وهو موافق لمن يقول يخلوا من العرش)[٢٩]

ثالثاً: إمكان الرؤية

ذهب اهل الحديث والأشاعرة على إمكان رؤية الله تعالى، وانه يظهر للناس يوم القيامة كما يظهر البدر ليلة تمامه، فيرونه الناس باعين رؤوسهم.[٣٠]

ويستل البعض على امكان الرؤية، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٣١].

قال ابن عجة في تفسيره: {وجوه يومئذٍ ناضرةٌ} أي: وجوه كثيرة، وهي وجوه المؤمنين المخلصين، يوم إذ تقوم القيامة، بهية متهللة، يشاهَدُ عليها نَضْرة النعيم، {إلى ربها ناظرةٌ} أي: مستغرِقة في مشاهدة جماله، فتغيب عما سواه. ورؤيته تعالى يوم القيامة متفاوتة، يتجلّى لكل واحد على قدر ما يطيق من نور ذاته على حسب استعداده في دار الدنيا، فيتنعّم كل واحد في النظرة على قدر حضوره هنا، ومعرفته.
ورؤيته تعالى جائزة في الدنيا والآخرة، واقعة في الدارين عند العارفين، وهذه الآية شاهدة لذلك.[٣٢]

---

[٢٦] - ظ: الصابوني، عقيدة السلف وأصحاب الحديث/ ١١٠
[٢٧] - ظ: الدمياطي، اعانة الطالبين ٤/ ٢١٣
[٢٨] - البخاري، صحيح البخاري ٢/ ٤٧، باب التهجد بالليل
[٢٩] - ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق/ ٢٠٤
[٣٠] - النابلسي، العقيدة الطحاوية/ ٢٩
[٣١] - القيامة/ ٢٢-٢٣
[٣٢] - ابن عجيبة، البحر المديد في تفسيرالقرآن المجيد ٧/ ١٠٩

المبحث الثالث

نماذج من الوضع في التفسير

أخذت الموضوعات ومنها الإسرائيليات مجالاً رحباً في بعض كتب التفسير، آخذا بها مفسراً بعد آخر من دون تحقيق أو تمحيص، الأمر الذي أربك فهم الواقع للنص القرآني.

قال الذهبي: (بل لا أكون مبالغاً ولا متجاوزاً حد الصدق إن قلت: إن كتب التفسير كلها قد انزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات، وان كان يتفاوت قلة وكثرة وتعقيباً عليها او سكوتاً عنها)[٣٣]

ولذا نجد أن أكابر علماء التفسير لا يستطيع إخفاء حقيقة الوضع، كما هو الحال عند ابن كثير رغم حذره الشديد من الوضع، فقال في مقدمة تاريخه (ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلي به)[٣٤]

الوضع في التفسير:

١- الوضع في قصة زواج النبي داود(ع)

قال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي

[٣٣] - الأسرائيليات/ ١١٩
[٣٤] - البداية والنهاية ١/ ٧

فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [٣٥]

ما ذكره السيوطي في تفسيره: أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام حدث نفسه ان ابتلى ان يعتصم فقيل له انك ستبتلى وستعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك فقيل له هذا اليوم الذي تبتلى فيه فاخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق باب المحراب وأدخل الزبور في حجره وأقعد منصفا على الباب وقال لا تأذن لأحد على اليوم فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر مذهب كأحسن ما يكون للطير فيه من كل لون فجعل يدرج بين يديه فدنا منه فأمكن ان يأخذه فتناوله بيده ليأخذه فطار فوقع على كوة المحراب فدنا منه ليأخذه فطار فأشرف عليه لينظر أين وقع فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض فلما رأت ظله حركت رأسها فغطت جسدها أجمع بشعرها وكان زوجها غازيا في سبيل الله فكتب داود عليه السلام إلى رأس الغزاة انظر فاجعله في حملة التابوت اما ان يفتح عليهم واما أن يقتلوا فقدمه في حملة التابوت فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود عليه السلام فاشترطت عليه ان ولدت غلاما ان يكون الخليفة من بعده وأشهدت عليه خمسا من بني إسرائيل وكتبت عليه بذلك كتابا فأشعر بنفسه انه كتب حتى ولدت سليمان عليه الصلاة والسلام وشب فتسور عليه الملكان المحراب فكان شأنهما ما قص الله تعالى في

كتاب وخر داود عليه السلام ساجدا فغفر الله له وتاب عليه.[٣٦]

والرواية الموضوعة هذه يتبناها السيوطي وكأنها من المسلمات، ثم ان الطبري يروي في ذلك سبع روايات، ولم يعقب عليها بشيء رغم ما فيها من الطعن في النبي داود(ع)، وهذا العمل المشين لا يليق بفرد عادي فضلاً عن نبي معصوم اختاره الله تعالى ليكون سفيراً له في خلقه ودليلاً لهدايته.

رأي المفسر الإمامي في الآية المباركة:

أنكر علماء ومفسرو الشيعة الإمامية الروايات الموضوعة هذه في تفسير الآيات المباركات مستندين في تفسيرها إلى الروايات الصحيحة الواردة عن أهل البيت(ع).

رأي القمي في تفسيره:

[٣٥] - ص/ ٢١-٢٥

[٣٦] - الدر المنثور ٥/ ٣٠٠

وردت روايات في تفسير القمي رواية مشابهة في عمومها مارواه ابن جرير والسيوطي، مع إضافات وتفصيلات أخرى تذكر على أن داود(ع): فكتب داود إلى صاحبه الذي بعثه ان ضع التابوت بينك وبين عدوك وقدم أوريا بن حنان بين يدي التابوت فقدمه وقتل ، فلما قتل أوريا دخل عليه الملكان وقعدا ولم يكن تزوج امرأة أوريا وكانت في عدتها وداود في محرابه يوم عبادته.[٣٧]

وظاهر الرواية انها مخالفة لما جاء به القرآن الكريم من عصمة الأنبياء وطهارتهم ليكونوا قدوة لجميع البشر، وعليه فالرواية وامثالها لا تتفق مع خلق القرآن السامي الذي مدح أنبياء الله تعالى في كثير من آياته هذا مع تأكيد أهل البيت(ع) على عرض الروايات على القرآن، فما وافقه منها يؤخذ به وما خالفه منها يضرب به عرض الجدار.

قيل ليونس ما اكثر انكارك لما يرويه أصحابنا؟ فقال: حدثني هشام بن الحكم أنه سمع الصادق(ع) يقول: (لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة او تجدون معه شاهداً من احاديثنا المتقدمة)[٣٨]

ثم أن القمي يرد ذلك برواية أخرى جاء فيها:(وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله (وظن داود) اي علم (وأناب) اي تاب ، وذكر ان داود كتب إلى صاحبه ان لا تقدم أوريا بين يدي التابوت ورده فقدم أوريا إلى أهله ومكث ثمانية أيام ثم مات)[٣٩]

وهي تنفي عن داود(ع) تهمة ارسال اوريا للقتل، والتي أوردتها الرواية السابقة.

رأي الشيخ الطوسي:

ذكر الشيخ الطوسي الأقوال المختلفة المتعلقة بالرواية، موضحاً أنها جاءت في باب القضاء وأدبه، وينسب الوضع في الرواية الى بعض الوضاعين والقصاصين، فقال: (فأما ما يقول بعض الجهال من القصاص أن داود عشق امرأة أوريا ، وأنه امره بأن يخرج إلى الغزو ، وأن يتقدم امام التابوت وكان من يتقدم التابوت من شرطه ألا يرجع إلى أن يغلب أو يقتل ، فخبر باطل موضوع ، وهو مع ذلك خبر واحد لا أصل له ولا يجوز أن تقبل اخبار الآحاد في ما يتضمن في الأنبياء ما لا يجوز على أدون الناس ، فان الله نزههم عن هذه المنزلة وأعلى قدرهم عنها . وقد قال الله تعالى " الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقال " ولقد اخترناهم على علم على العالمين فكيف يختار تعالى من يتعشق نساء أصحابه ويعرضهم للقتل من غير استحقاق ولا يجوز مثل هذا على الأنبياء إلا من لا يعرف مقدارهم ولا يعتقد منزلتهم التي خصهم الله فيها نعوذ بالله من سوء التوفيق.

[٣٧] - تفسير القمي ٤/ ٢٠٤
[٣٨] - محمد تقي التستري، الأخبار الدخيلة ١/ ٢٧١
[٣٩] - تفسير القمي ٢/ ٢٠٦

وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: لا أوتى برجل يقول إن داود ارتكب فاحشة إلا ضربته حدين أحدهما للقذف والآخر لأجل النبوة)[٤٠].

٢ – الوضع في قصة بني إسرائيل:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾

تناول الآلوسي في تفسير الآية المباركة رواية موضوعة يقص خلالها قصة عجيبة عن عوج بن عنق يرويها عن البغوي، رواية ما لا يحتمله العقل عن صفة الجبارين واشكالهم.

قال الآلوسي: (وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد أن النقباء لما دخلوا على الجبارين وجدوهم يدخل في كم أحدهم اثنان منهم ، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمس أنفس بينهم في خشبة ، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمس أنفس أو أربع ، وذكر البغوي أنه لقيهم رجل من أولئك يقال له عوج بن عنق ، وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله ، ويروى أن الماء طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج ، وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام ، وذلك أنه جاء وقور صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام وكان فرسخاً في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله تعالى الهدهد فقور الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله)[٤١].

٣ – قصة الغرانيق:

قال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾[٤٢].

من الموضوعات المثيرة للجدل هذه القصة التي دسها أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم ممن عمدوا الى اثارة الفتن بين المسلمين وتشويه صورة النبي الخالد.

تقول القصة: ان رسول الله (ص) لما رأى من قومه ما شق عليه من مباعدة ما جاءهم به من الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه ، وكان يسره ، مع حبه قومه وحرصه عليهم ، أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم ، حتى حدثت بذلك نفسه وتمناه وأحبه ، فأنزل الله عليه : (والنجم إذا هوى * ما

[٤٠] - التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٥٥٤
[٤١] - تفسير الآلوسي ٦/ ٨٦-٨٧
[٤٢] - النجم / ١٠-٢٠

ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى) فلما انتهى إلى قوله : (أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى) القى الشيطان على لسانه لما كان تحدث به نفسه ويتمنى ان يأتي به قومه : (تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن ترتضي – أو – ترتجى) . فلما سمعت ذلك قريش فرحوا وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له ، والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل ، فلما انتهى إلى السجدة فيها وختم السورة سجد فيها ، فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقا لما جاء به ، واتباعا لأمره ، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر الهتهم ، فلم يبق في المسجد من مؤمن ولا كافر إلا سجد ، سوى الوليد بن المغيرة ، فإنه كان شيخا كبيرا فلم يستطع السجود ، فأخذ بيده من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرق الناس من المسجد .

وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم، يقولون:

قد ذكر محمد الهتنا بأحسن الذكر. قد زعم في ما يتلو: (انها الغرانيق العلى، وان شفاعتهن ترتضي)[٤٣].

قال الإسترآبادي رداً على هذه الرواية الموضوعة: (لا يستريب ذو بصيرة في أنّه باطل مردود، لا يستصحّه العقل ولا النقل، والبرهان قائم بالقسط على كذبه وبطلانه. ومن الكَذَبَة الواضعين قوم من السُؤّال يضعون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحاديثَ يرتزقون بها ويستأكلون منها) [٤٤]

ويذكر المجلسي ما يفند هذه الكذوبة قائلاً: (وأما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا بالقرآن والسنة والمعقول، أما القرآن فوجوه:

أحدها: قوله تعالى: " ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لا خذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين.

وثانيها: " قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي.

وثالثها: قوله: " وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى، فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرانيق العلى لكان قد أظهر، كذب الله تعالى في الحال، وذلك لا يقول به مسلم.

ورابعها: قوله تعالى: " وإن كادوا ليفتنونك، وكاد معناه قرب أن يكون الامر

كذلك مع أنه لم يحصل.

وخامسها: قوله: " ولولا أن ثبتناك، وكلمة لولا تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره، فدل على أن الركون القليل لم يحصل.

[٤٣] - السيد مرتضى العسكري، احاديث ام المؤمنين عائشة ٢/ ٣٠٨

[٤٤] - مير داماد محمد باقر الحسيني، الرواشح السماوية / ٢٨١

وسادسها: قوله: " كذلك لنثبت به فؤادك.

وسابعها: قوله: " سنقرئك فلا تنسى.

وأما السنة فهي أنه روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه

القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتابا.

وقال الإمام أبو بكر البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم

في أن رواة هذه القصة مطعونون.[٤٥]

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الرحلة المتواضعة مع القرآن الكريم، ذلك الكتاب السماوي الخالد، الذي هو مبدأ التعاليم الإسلامية ومرجع المسلمين الأول في التشريع، وانطلاقاً من الحرص عليه ووقفاً عند المسؤولية الشرعية، وجدنا من اللازم علينا كمسلمين الحفاظ على سلامة تفسيره وصيانته وحفظه من كل ما من شأنه أن يحاول العبث في توجيه آياته بإدخال ما يخالف العقل السليم والمنطق الصادق، إلى حرف المعنى من المراد الحقيقي لقوله تعالى في كل آياته، فقد حاول الوضاعون إدخال روايات موضوعة كثيرة جاءت عن طريق أعداء الإسلام كاليهود وغيرهم من النصارى. فجاءوا بالقصص الخرافية الموضوعة والمصطنعة لإيهام المسلم عن المعنى الحقيقي لما وراء النص القرآني.

وأخيراً توصلنا إلى بعض النتائج الموضوعية التي لمسها البحث.

١- بيان أهمية وعظمة ومكانة التفسير القرآني المستند إلى ما يوافق النقل والعقل.
٢- تمييز الحديث الموثوق الناشئ من منابعه الحقيقية الغير قابلة للإنكار.
٣- دخول الأحاديث الموضوعة والقصص الخيالي المغرض والهدام، وامتلاكها مساحة واسعة في أهم التفاسير الإسلامية كالطبري وغيره.
٤- بين البحث خطوة الأحاديث والقصص الموضوعة وجهة الوضع فيها.
٥- الدعوى الى إيجاد تفاسير واضحة المعالم بعيدة عن المتعصب واللاموضوعية في الطرح.

المصادر ومراجع البحث:

[٤٥] - العلامة المجلسي، بحار النوار ١٧/ ٥٨

- القرآن الكريم
- إبن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الهجيمة والمعطله، تصحيح زكريا على يوسف، مطبعة الإمام، مصر.
- إبن كتير(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تح، علي شيري، ط١، دار إيحاء التراث العربي، بيروت لبنان،١٤٠٨هـ_٢٩٨٨م.
- ابن منظور أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم المصري، دار صادر بيروت، ط١ ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
- أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، الأعلمي، بيروت-لبنان، ط١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي،تح، توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٥- ١٩٩٥م.
- الطوسي، أبو جعفر محمد الحسن (ت ٤٦٠ هـ) التبيان، تحقيق أحمد حسن قصر العاملي، مكتب الأعلام الإسلامي قم ط ١، ١٤٠٩ هـ.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، دار المعارف (ت.ط).
- البخاري، أبي عبد الله إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) صحيح البخاري دار أحياء التراث العربي بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، الخصال، تح، علي أكبر غفاري، ط، جماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤٠٣هـ.
- الأدلبي صلاح الدين، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي ، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- أبو الفضل الآلوسي، شهاب الدين محمود البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، منشورات دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ط٤، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- البحراني، الحدائق الناظرة، ط، مؤسسة النشر الأسلامي، قم المقدسة. جعفر البياتي، الأخلاق الحسينية، مطبعة مهر، ط١، ١٤١٨هـ.
- جلال الدين السيوطي ، تدرب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح، الشيخ عرفان حسونة، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، منشورات محمد الأمين، بيروت ،(د ت).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر محمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٤٩هـ-١٩٣١م.

- د.حسن الحكيم ، مذاهب الإسلاميين، النجف الأشرف، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.
- الدمياطي، إعانة الطالبين، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- سراج الدين عمر البلقيني، تح، د. عائشة عبد الرحمن، ط، الهيئة العامة المصرية للكتاب،١٩٧٤م.
- السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تفسير السمعاني تح، ياسربن ابراهيم، دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الحر العاملي ،أعيان الشيعة ،تح، حسن الأمين، ط٥، دار التعارف بيروت لبنان. ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.
- السيد مرتضى العسكري، أحاديث ام المؤمنين عائشة، المجمع العلمي الإسلامي، ط١، طهران، ١٤١٨هـ-١٩٨٣.
- الشهيد الثاني، زين الدين العاملي، مكتبة المرعشي، قم، ط، ١٤٠٨هـ.
- الشيخ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب الحيدري، الكافي، طهران، ١٣٧٩هـ.
- الصابوني، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، المطبعة المنبرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحاته، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٥٩م.
- الطبري ، ابن جرير (ت ٣١٠ هـ) جامع البيان عن تأويل القرآن (د .ت)، تحقيق خليل الميسر ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ابن أبي الحديد، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦ هـ) شرح النهج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، العراق – بغداد ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- المجلسي، العلامة، محمد باقر، (ت ١١١١ هـ) بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، بيروت – لبنان.
- الطبرسي أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) مجمع البيان، تحقيق هاشم رسول المحلاتي، دار أحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،ط ١، ١٤١٢ - ١٩٩٢ م.
- محمد حسين الذهبي، الاسرائيليات، ط٢، دار الايمان، دمشق، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.
- محمد طاهر القمي الشيرازي، كتاب الأربعين، تح، مهدي الرجائي، مطبعة أمير،ط١، ١٤١٨هـ.
- محمود أبورية، أضواء على السنة المحمدية، ط٥، نشر البطحاء.
- مير داماد، محمد باقر الحسيني،الرواشح السماوية، تح، غلام حسين، ط١، دار الحديث، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ.
- الواحدي،أبو الحسن علي بن أحمد، تفسير الواحدي، موسسة القاهرة، الحلبي،١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.